التمساح

محمود سالم

التمساح

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

التمساح

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩ ٠٠ ٢٧٠٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
أكلَتْه التماسيح!	١١
في غرفة «موانجا»!	١٥
موانزا!	١٩
أرض الأقزام!	٢٣
حادث في الغابة!	٢٧
صديق في الطريق!	٣١
اغتيال في الليل!	٣٥
تماسيح وأسود!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

أكلَتْه التماسيح!

كانت كلمات رقم «صفر» تخرج من فمه في بطء وتثاقُل، ولكنها كانت حاسمةً ... وحافلةً بالألم ... وكان يُوجِّه حديثَه إلى «أحمد» و«عثمان» و«رشيد» فقط.

فقال لهم: لقد اختفَى رجلٌ من أبرز أعواننا ... وقد كنتُ أحبُّ هذا الرجل حبًّا كبيرًا ... فقد عَمِلنا معًا في مختلف أنحاء أفريقيا ... وقد كنَّا نُطلق عليه اسمَ «قلب الأسد»؛ فقد كان شجاعًا وكريمًا ... وعندما أُنشئَت منظمة الشياطين الـ «١٣» طلبتُ منه الانضمامَ إلينا ... وقد قَبِل على أن يبقى في قلب أفريقيا يحارب الظلم والفساد ويدافع عن المظلومين والمضطهدين هناك ...

وسكَت رقم «صفر» لحظاتٍ، ثم قال: لقد كان «موانجا» صديقًا عزيزًا ... أوقع بعدد من العصابات الشرسة التي تتعامل في الماس ... وقد كانت معلوماتُه دائمًا دقيقة، ونشاطه لا يتوقَّف ... وكان ماهرًا للغاية في استخدام مختلف الأسلحة ... خاصةً الخناجر والسهام، وكان يعرف أفريقيا كما يعرف الإنسانُ راحةَ يده ...

وساد الصمتُ لحظاتٍ، ثم قال رقم «صفر»: وقد نشرَت الصحفُ الصادرة صباح السبت الماضي أن «موانجا» قد مات ... سقط في النهر ومزَّقَتْه التماسيح ... وقد شَهِد على ذلك ثلاثةٌ من المواطنين ... شاهدوه وهو يسقط في النهر ... وسَمِعوا صرخاتِه عندما مزَّقَته التماسيح ولم يُسفِر التحقيق الذي قامَت به السلطات هناك عن شيء ... ولكني غيرُ مقتنعٍ بذلك.

إن «موانجا» ليس هو الرجل الذي يمكن أن يقع في مثل هذا الخطأ ... لهذا أطلب إليكم أن تسافروا فورًا إلى «نيروبي» ... اذهبوا إلى منزله ... إن له ابنةً وحيدة ... اسألوها عن تصرُّفات أبيها قبل الحادث ... وأترك لكم حرية التصرف هناك ... المهم أن تَصِلوا إلى

الحقيقة ... وبأسرع ما يمكن ويمكنكم الحصول على ملف «موانجا» من قسم الأبحاث والمعلومات ... وأتمنَّى لكم التوفيق.

عقد الشياطين اجتماعًا عاجلًا ... وتقرَّر أن يقوم «رشيد» بوضع ترتيبات الرحلة وأن يقوم «عثمان» بإعداد الأسلحة اللازمة ... بينما يقوم «أحمد» بدراسة ملف «موانجا».

وبعد ساعة كان «أحمد» مستلقيًا على فراشه، وبين يدَيه ملفٌ «أصفر» عليه نجمة حمراء دليل السرية ... وكان يقرأ قصة «موانجا» ... فعرف ما يريد معرفته عنه ... وأُعجب كثيرًا بمواقِفِه وأخذ صورةً حديثة له ... كان عملاقًا في الخامسة والخمسين من عمره ... باسمَ الوجه ... مفتولَ العضلات ... في وجهِه أثرُ جرحٍ واضح ... وفي عينَيه بريقُ القوة والتصميم.

في صباح اليوم التالي انفتح الباب الصخري الرئيسي في مقر الشياطين الـ «١٣»، وانطلقَت سيارة يقودها سائقٌ إلى أقرب مطار من المقر ... حيث استقلَّ الشياطين الثلاثة «أحمد» و«عثمان» و«رشيد» الطائرةَ المتجهة إلى القاهرة ... وقضَوا ساعتين في المطار في انتظار الطائرة المُسافرة إلى «نيروبي» عاصمة «كينيا» ...

وعندما بدأت الطائرة تهبط في مطار «نيروبي» الدولي، أطلَّ «أحمد» و«عثمان» و«رشيد» على المدينة فبدَت وكأنها قد غمرَها فيضٌ من الألوان الزاهية المتداخلة ... وبدَت الأشجار وهي تتلألأ في الأضواء المتقاطعة كأنها قِطَع من الزجاج ... وكانت الوديان الواسعة تُشكِّل خريطةً طبيعية كأنها مجموعةٌ من الأفاعي تزحف على الأرض، وبينها ظهَرَ الأُخدود الكبير الذي يمتدُّ على بُعد ثلاثين ميلًا شمال غربي «نيروبي» واضحًا شديد الوضوح، وتبدو حوافُّه العمودية على ارتفاع ١٥٠٠ قدمٍ.

لم يكن هناك أحدٌ في انتظارهم ... فاستقلُّوا سيارةَ أجرةٍ، وطلبوا من السائق أن يختار فندقًا مناسبًا ...

وسارَت السيارة القديمة وسط طرقات المدينة التي تُظلِّلها الأشجار حتى وصلوا إلى قلب المدينة في المساء ... واختار لهم السائقُ فندقَ «القرد الضاحك» للنزول فيه ... وكان ذلك الاسمُ مثارَ تعليق الشياطين الثلاثة ...

كان فندقًا مثاليًّا رغم اسمه الغريب ... فقد كان يتكوَّن من مجموعة من الأكواخ «بنجالوز» تفصل بينهما الأشجار والزهور ... وكان الجوُّ حارًّا رطبًا ... ولكن «البنجالوز» كانت مكيفة الهواء ...

استقرَّ الشياطين في كوخَين متلاصقَين ... نزل «رشيد» و«عثمان» في واحد ... ونزل «أحمد» في الآخر ... وسرعان ما كان «أحمد» يُمسك بجهاز التليفون، ويطلب «موانزا» وهي الفتاة الصغيرة ابنة «موانجا».

وأخذ جرس التليفون يدقُّ في الجانب الآخر مرارًا دون أن يردَّ أحدٌ، وأحسَّ «أحمد» ببعض القلق ... ولكن من الممكن أن تكون «موانزا» الصغيرة في مكان ما تقضي بعض حاجاتها.

وأخرج صورتها ... كانت في السادسة عشرة من عمرها تقريبًا ... طويلة القامة مِثْل أبيها ... ولكنها نحيفة ... وكان وجهها يعكس طِيبةً ... ورقَّةً وذكاءً واضحًا ...

هبط الظلام مسرعًا على «نيروبي» عاصمة «كينيا» ... وكان الشياطين الثلاثة قد قرروا أَخْذَ راحةٍ لمدة ساعة بعدها يخرجون للتجوُّل في المدينة الساحرة ...

ولكن عندما التقَوا، قال «أحمد»: إنني أُفضِّل العمل فورًا!

عثمان: هل اتَّصلتَ بـ «موانزا»؟

أحمد: اتَّصلتُ بها ... ولكن لا أحدَ في المنزل يردُّ ... لهذا أرى أن نذهب إلى هناك!

رشيد: فكرةٌ طيبة ... هل معك العنوان؟

أحمد: نعم ... لقد أخذتُ كلَّ المعلومات التي تلزمنا عن «موانجا» من الملف!

واشترى الشياطين الثلاثة خريطةً للمدينة من استعلامات الفندق، وخرجوا ... كانت الشوارع مزدحمةً في هذا المساء المبكِّر ... فمشَوا إلى أقرب محلٍّ لتأجير السيارات ... واختاروا سيارةً من طراز «أوستن» الإنجليزية الصُّنع، وبعد أن فحصوا الخريطة بضعَ مراتٍ استطاعوا تحديدَ مكان منزل «موانجا»، وكان يسكن في شارع فيكتوريا، وهو شارعٌ رئيسي في قلب المدينة ...

قاد «عثمان» السيارة الأوستن بينما كان «رشيد» يحدِّد الشوارع ... واستغرق «أحمد» في تفكيرٍ عميق وهو يتفرَّج على الشوارع المزدحمة.

في غرفة «موانجا»!

عندما وصلوا إلى منزل «موانجا» كانت الساعة تُشير إلى التاسعة مساءً ... والشارع شديد الازدحام ... ولا مكان لوقوف السيارة ... لذا قال «أحمد»: عليكما الطواف بالسيارة نصف ساعةٍ ... ثم عودَا لمقابلتي أمام دار السينما المجاورة للمسكن!

نزل «أحمد» من السيارة واتَّجه إلى المسكن ... كان يقع في بنايةٍ قديمة مكوَّنةٍ من ثلاثة طوابقَ ... يشمل بعضُها على عيادات أطباء ومكاتب محامين ... وكان مسكن «موانجا» يقع في الطابق الثالث.

صَعِد السلَّمَ متمهلًا وسطَ عددٍ كبير من الناس يصعدون وينزلون، وعندما وصل إلى الطابق الثالث وجده مكوَّنًا من شقَّتَين إحداهما مكتب للاستيراد والتصدير ... كان بابُه مغلقًا، ولكن النور مُضاء في المكتب ويدل على وجود الموظفين في الداخل.

وكانت الشقة المقابلة هي شقة «موانجا» ... لم يُضِع «أحمد» وقتًا ... أخرج أدواته الدقيقة، ووضعها في ثُقب المفتاح ... ولدهشته الشديدة فُتح الباب فورًا ... فالباب لم يكن مغلقًا بالمفتاح ... دخل كالشبح، وأغلق الباب خلفه ... ووقف لحظات ساكنًا يستردُّ أنفاسه المتسارعة ثم أضاء كشافًا صغيرًا وأدار ضوءَه الرفيع في أنحاء المكان...

كانت صالةُ المنزل مفروشةً بأثاث قديم ... ولكنه جيد ... وبها مكتبة توضح أن سكان البيت من هواة القراءة ... وتحرَّك «أحمد» إلى بقية الغرف، وأخذ يفتحها واحدةً ... واحدة ... كان هناك ثلاثُ غُرَفٍ؛ اثنتان للنوم ... والثالثة غرفةُ طعام ...

اختار «أحمد» أن يدخل غرفة نوم «موانجا»؛ حيث كانت ملابسه ما زالت مُعلَّقةً في جانب منها. فتأكَّد أولًا من إغلاق النوافذ جيدًا ثم أسدل الستائر وأضاء النور ...

كانت الغرفة نظيفةً ومرتَّبة ... وتكشف عن شخصية رجل شديد النظام ... فكل شيء في مكانة بالضبط ... وهناك بضعةُ كُتُبٍ بجوار الفراش ... وعددٌ من العِصيِّ من أنواعٍ

مختلفة ... وكان الفراش متسعًا ومريحًا ... وكان هناك أيضًا دولابًا صغيرًا مما يُستخدَم لحفظ الملفات.

وأخذ «أحمد» يتأمَّل كلَّ شيءٍ بدقة، فرغم النظام الذي يسود الغرفة؛ فقد كان من الواضح أن يدًا عبثَت بها ... وأن شخصًا ما دخل هذه الغرفة وفتَّشها تفتيشًا دقيقًا، وأعاد كلَّ شيء إلى مكانه ...

مَن هو هذا الشخص؟!

وعن أيِّ شيءٍ كان يبحث؟!

وهل وجد ما كان يبحث عنه؟

وأخذ «أحمد» يُدقِّق النظر في الأتربة الخفيفة التي غطَّت الغرفة بعد أن غاب صاحبها ... فوجد في بعض الأماكن أتربةً خفيفة ... وفي بعضها ثقيلة ... الأتربة الثقيلة قديمة ... الأتربة الخفيفة في أماكن مختلفة أحدث ... وكان أكثرها على الدولاب الذي تُحفظ فيه الملفات ... وهذا النوع من الدواليب لا يمكن فتْحه إلا لخبير ... فهو من النوع الموجود في المقر السري للشياطين الـ «١٣» ...

وكان «أحمد» مُدرَّبًا على فتح هذا النوع من الدواليب ... ولكي يفتح هذا الدولاب لا بد أولًا من تحريكه من مكانه ... ثم دفعه إلى الخلف حتى يستند على الجدار ... حيث يوجد في القاع مسمارٌ صغير جدًّا لا يُرى، ولا يمكن العثور عليه إلا بالتحسُّس ... ولا بد أن يكون مكانه معروفًا لَمن سيفتح هذا النوع من الدواليب ...

حرَّك «أحمد» الدولاب حتى أصبح قربَ الحائط تمامًا ... ثم أمالَه إلى الخلف ... ومدَّ أصابعه يتحسَّس قاع الدولاب من أسفل حتى اكتشف مكان المسمار ... وأخرج من جيبه أداةً دقيقة ... أخرج بها المسمار إلى نهايته ... وسمع تكَّةً خفيفة ... فقد خرج العامود الذي يخرج عند إغلاق الأدراج ... ودفعه «أحمد» في الاتجاه المعاكس، وأخذ يفتح الأدراج واحدًا وراء الآخر.

في الدرج الأعلى عثر «أحمد» على مجموعةٍ من الخرائط، وضعَها على الفراش وأخذ يتأملها، كانت تشمل منطقة واسعة تضمُّ مجموعة الدول التي تُحيط ببحيرة «فيكتوريا» ثم هناك خطٌّ طويل مرسوم بالقلم الرصاص يمتدُّ من «نيروبي» إلى «جوهانسبرج» في جنوب أفريقيا ... ثم بعض الخطوط الخفيفة التي لم يستطع أن يتبيَّنَها على ضوء المصباح الرفيع ... ولكنه لاحظ أن هناك علامةَ استفهام عند التقاء الخطوط قربَ صحراء «كلهاري» ... وكان «أحمد» في أشد الحاجة إلى أَخْذ هذه الخرائط، ولكنها كانت من الضخامة بحيث يصعب الخروج بها دون أن يلفت الأنظار ...

أخذ يفكِّر لحظاتٍ ... ثم أعاد الخرائط إلى مكانها ... وأخذ يفتح الأدراج واحدًا وراء الآخر ... كان بالدرج الثاني مجموعةٌ من الملفات السوداء ... تصفَّحها بسرعةٍ ... وكانت تحوي معلوماتٍ دقيقة عن شخصيات أفريقية بعضها معروفٌ، وبعضها مجهولٌ ... وكان على بعضها علامة «×»، وكان بالدرج الثاني أيضًا مجموعة من الأحجار البرَّاقة ... أخذ «أحمد» يفحصها بدقة ... وتأكَّد أنها عروقٌ من صخور بها فصوص دقيقة من الماس.

وفي الدرج الثالث وجد مجموعةً أخرى من الملفات ... كانت موضوعةً داخل مظروفٍ من الجلد السميك، وقد أُحيطت بسلسلةٍ لها قفلٌ ... ولم يكن عند «أحمد» وقتٌ للاطلاع عليها ... وفي الدرج الرابع والأخير كانت هناك مجموعةٌ من الأسلحة ... خناجر ... مسدسات وبعض الأنابيب البوص التي تُستخدم في قذف السهام المسمومة ... وكانت هناك آلةُ تصويرٍ صغيرة الحجم وبجوارها مجموعةٌ من الأفلام.

نظر «أحمد» إلى ساعته ... كانت التاسعة وخمسًا وعشرين دقيقة، وقد بقيَ له خمس دقائق فقط ... وفكَّر لحظاتٍ ... ثم أخذ مجموعة الأفلام ووضعها في جيوبه ... ثم أغلق أدراج الدولاب واستدار ليخرج ... لكنه سَمِع صوتًا خفيفًا يصدر من الباب الخارجي للشقة ...

أطفأ نورَ مصباحه مسرعًا ... ثم قفز إلى جوار الدولاب ووقف يُنصِت ... كان ثمة شخصٌ قد فتَح الباب الخارجي للشقة، ودخل.

ظلَّ «أحمد» واقفًا في مكانه وهو يفكِّر في الشخص القادم مَن يكون؟!

تحرَّك الشخص في المكان بطريقةٍ تؤكِّد أنه ليس غريبًا ... كان يمشي بثقةٍ ... وأضاء الأنوار ... وأدرك «أحمد» أنه شخصٌ من أهل المنزل ... فمَن يكون يا تُرى؟! ...

وكيف يُبرر وجوده في المنزل؟! ويبرر كيف دخل؟! ...

وظلَّ «أحمد» ينتظر وقد أخرج مسدسه، واستعدَّ للأحداث القادمة ...

موانزا!

اقترب «أحمد» من باب الغرفة على أطراف أصابعه ... ونظر إلى الصالة ... لم يكن هناك أحدٌ، وقرر أن يجتاز الصالة سريعًا إلى باب الخروج. وعندما خطَا إلى الصالة سَمِع صوتًا رقيقًا يقول له: ارفع يدَيك ... ولا تتصرَّفْ بحماقة!

أحسَّ «أحمد» في نغمة الصوت الناعم الهادئ شيئًا إنسانيًّا، والتفَت إلى صاحبة الصوت، كانت فتاةً رائعةَ الحُسن ... سمراء ... ترتدي «البلوجينز» وتَحمِل في يدها مسدسًا صغيرًا.

قال «أحمد»: «موانزا»!

ردَّت الفتاة: مَن أنت؟

أحمد: إنَّني صديقٌ قادمٌ من بعيدٍ!

موانزا: من القاهرة!

أحمد: كيف عرفتِ؟

موانزا: كان لأبي أصدقاء في القاهرة!

أحمد: أين كنت؟

موانزا: أبحث عن قتلةِ أبي!

أحمد: هل مات حقًّا؟

موانزا: لا أحدَ يعرف الحقيقة ... ولكنْ ثمة شيءٌ حدَث في النهر ... ربما نَصِل عن طريقه إلى الحقيقة!

أحمد: كيف؟

موانزا: أولًا: هل أنت وحدك؟

أحمد: معي صديقان في انتظاري بالسيارة!

موانزا: أمام الباب؟

أحمد: لا ... أمام دار السينما المجاورة.

موانزا: من أيِّ نوع من السيارات؟

أحمد: «أوستن صفراء».

موانزا: إنَّني أريد أن أتحدَّث إليك طويلًا ... هناك معلوماتٌ هامة!

أحمد: وأنا أيضًا!

موانزا: سأنزل لأصرف صديقَيك وأعود فورًا!

نزلَت «موانزا» مُسرعةً إلى الشارع ... ثم عادَت بعد دقائق ... وقالت: إنَّهما سينتظرانك في الفندق!

أحمد: والآن ما هي معلوماتك؟

موانزا: كنت على وَشْكِ أن أتعشَّى ... هل تأكل معي؟

أحمد: لا بأس!

موانزا: بعض الساندويتشات!

أحمد: هذا يكفي!

قالت «موانزا»: إذن هيَّا بنا إلى المطبخ!

سار خلفها إلى مطبخٍ أنيق ... واسع ... مكيَّف الهواء، وقَدَّمت مجموعةً رائعة من الساندويتشات وأخذَا يتحدثان في أمورٍ كثيرة بينما قالت «موانزا»: هل تعلم أنهم عثروا على جمجمة أبي؟

كادت اللقمة تقف في زور «أحمد» عندما سَمِع كلمة «جمجمة»، ثم قال: كيف؟

موانزا: لقد استطاع أحدُ الصيادين أن يصطاد التمساح الذي التهمَ أبي!

أحمد: معنى ذلك أنه مات فعلًا!

موانزا: انتظر ... سوف نعرف إذا استطعنا العثور على الجمجمة!

أحمد: كيف؟

موانزا: كان أبي يتردَّد على طبيب أسنان، وعند هذا الطبيب نموذجٌ من الجبس للفكَّين ... فإذا استطعنا العثور على الجمجمة يمكن أن نقارن بين النموذج وبين الفكَّين ... فلعلنا نَصِل إلى الحقيقة!

أحمد: وأين الجمجمة الآن؟!

موانزا: ما زلتُ أبحث عن الصياد ... وكالعادة فإنَّ هؤلاء الصيَّادين إذا عثروا على جمجمةٍ سارعوا ببيعها إلى أحد السحرة في الغابة!

أحمد: هل كنتِ الآن تبحثين عن الصياد؟

موانزا: نعم ... وقد قالوا لي إنَّه صَعِد في النهر، أي ابتعد إلى فوق ... ومعنى ذلك أنَّه ذاهب ... وأنَّه سيغيب طويلًا!

أحمد: هل نستطيع أن نلحق به؟ وهل عرفتَ اسمه؟

موانزا: نعم ... اسمُه «كالي جالي»، وهو من أصلٍ هندي كما تعرف، فإن عددًا كبيرًا من الهنود يعيشون هنا!

أحمد: بالطبع فهو يستخدم قاربًا عاديًّا!

موانزا: نعم ... وإذا استأجرنا قاربًا بخاريًّا يمكن أن نلحق به!

أحمد: وماذا ننتظر؟

موانزا: إن ثمة شخصًا أو أشخاصًا يتبعونني طول الوقت، وأعتقد أنَّهم يبحثون عن شيء تركه أبي ... وقد اتصلوا بي مرارًا وعرضوا مبلغًا كبيرًا من المال إذا سمحتُ لهم بتفتيش أوراق أبي ... ولكني رفضت!

لم يردَّ «أحمد»، واستغرق في التفكير لدقيقة كاملة، ثم قال: هل تعرفين الأشخاص الذين يتصلون بكِ؟

موانزا: إن الصوت مألوفٌ لديَّ ... وأعتقد أنَّه شخصٌ كان يعرف أبي، وكان يتصل به دائمًا ... وقد رددتُ على بعض مكالماته التليفونية أيامَ كان أبي حيًّا!

أحمد: هل عندك أية استنتاجات حول هذا الرجل؟

موانزا: أنت تعرف أن أبي كان رجلًا وطنيًّا، وكان يُساعد حركاتِ التحرُّر في القارة الأفريقية. وأنَّ له أعداءً كثيرين لهذا السبب، وإذا كان قد مات ... فلا بد أن لموته علاقةً بهذه الحركات التحررية!

أحمد: هل من المعقول أن أشخاصًا يساعدهم السيد «موانجا» هم الذين يقتلونه!

موانزا: لا أقصد هذا طبعًا، أقصد أنهم من الاستعماريين الذين يحاربون حركاتِ التحرر!

أحمد: إن هذا مُهمٌّ جدًّا بالنسبة للبحث عن أبيك سواء أكان حيًّا أم ميتًا!

موانزا: إن المشاجرة التي تمَّت مع أبي مشاجرةٌ مفتعلة ... لقد كان رجلًا هادئَ الأعصاب ولا يمكن أن يشترك في مشاجرة من هذا القبيل!

أحمد: ولكن لماذا وَثِقتِ بي؟

موانزا: من الواضح أنَّكَ موضعٌ للثقة، وما دمتَ من القاهرة فلا بد أنك جئت تبحث عن أبي ... أو عن حقيقة موت أبي!

أحمد: هذا صحيح ... والآن ... متى يمكننا الإبحار خلف الصياد؟
موانزا: ليس الآن طبعًا ... أفضل وقت هو الفجر ... هل أنتم جاهزون؟
أحمد: طبعًا!
موانزا: سأمرُّ عليكم الساعة الخامسة صباحًا، وسوف أكون قد جهَّزتُ كلَّ شيء!

أرض الأقزام!

في الخامسة تمامًا كان الشياطين الثلاثة يقفون أمام الفندق، ولم يكن ثمة إنسانٌ في الطريق في هذه الساعة المبكِّرة ... عندما سَمِعوا صوتَ سيارةٍ قادمة نحوهم ثم توقَّفَت أمامهم.

كانت سيارة من طراز «إنش روفر» حمراء اللون ... وانطلقت بهم في اتجاه النهر ... وقد أحسَّ الشياطين أن هذه الفتاة الصغيرة فيها صلابة الرجال، وأنها شديدة الذكاء ... فقد أحضرت معها بنادقَ خاصَّةً بصيد التماسيح استعدادًا لرحلة النهر.

ووجدوا أنَّها أعدَّت زورقًا بخاريًّا قويًّا للإبحار ... وأنَّها أعدَّت الطعام وكلَّ شيء ... حتى الأدوية الخاصة بأمراض المناطق الحارة.

قال «أحمد»: إنَّكِ رائعة حقًّا يا «موانزا» ... فقد أعددتِ كلَّ شيء!

موانزا: لقد علَّمني أبي أن النظام هو نصف النجاح ... وقد كنت على وشكِ أن أقوم بهذه الرحلة وحدي ... وأعددتُ كلَّ شيء ... وهذا سبب غيابي أمس!

قفزوا إلى الزورق ... بعد أن أخفَوا السيارة في الأعشاب الكثيفة التي تُحيط بالنهر ... وأدار «عثمان» المحرِّكَ، وانطلق القارب في غسق الفجر، مضاء الأنوار؛ فقد كان الضباب يُخفي كلَّ شيء!

دار الحوار بين الأربعة عن «موانجا» وكانت «موانزا» ثابتةَ الأعصاب وهي تتحدَّث عن أبيها وقالت: إن في قلبها إحساسًا كبيرًا بأن أباها لم يَمُت ... وأنَّه لسببٍ أو لآخر مختفٍ في مكانٍ ما!

وبعد ساعةٍ كانت الشمس تحاول النفاذ من بين طبقات الضباب الكثيف ... وقالت «موانزا»: سندخل الآن إلى أراضِ «الكيكويو»، وهي القبيلة التي تسيطر على الحياة في الغابة!

رشيد: أسمع أن هذه منطقة الأقزام أيضًا!

موانزا: لم نَصِل بعدُ إلى أرضِ الأقزام ... لقد أحضرتُ لهم مجموعةً من الحُليِّ والأقمشة حتى لا يهاجمونا!

ومضى القارب سريعًا، ووجهتُه ميناء «كيومو» على شاطئ بحيرة «فيكتوريا» ... وكان النهر رفيعًا، سريع الجريان ... وكان الزورق يسير مع التيار فاشتدَّت سرعتُه ...

ولكن عندما توغَّلوا في النهر ... بدأ مجراه يضيق تدريجيًّا ... وتزايدَت الأعشاب البحرية حتى كادت تعوق سَير الزورق.

وعندما وصلوا إلى منحنًى في النهر ضيقٍ جدًّا ... بدأت التماسيح الضخمة تتحرك نازلةً من على الشواطئ بأعدادٍ ضخمة تكاد تسدُّ مجرى النهر ...

وقالت «موانزا»: لا بد من طردهم وإلَّا ... وأمسك كلٌّ من «أحمد» و«رشيد» بندقيةً وكذلك فعلَت «موانزا» وبدأ إطلاق النار على حشد التماسيح التي أخذت تضرب المياه بذيولها القوية ...

لم يكن هدفهم قتْل التماسيح ... فقط إبعادها عن القارب ... وفي هذه اللحظات لاحظت «موانزا» انعكاسَ أضواءٍ كأضواء المرايا قادمة من الشاطئ ... وأشارت بالكفِّ عن إطلاق الرصاص ...

وساد الصمتُ إلَّا من صوت رزاز المياه الصاعد من ذيول التماسيح التي سارعَت بالفرار إلى الشاطئ هربًا من الرصاص ...

وفجأةً صاحت «موانزا»: انبطحوا!

وانبطح الثلاثة مسرعين، وأوقف «عثمان» محركَ القارب وانهالَت السهام على القارب من اتجاه الضوء ...

وقالت «موانزا»: إنهم الأقزام!

أحمد: لنذهب إلى الشاطئ الآخر!

وأدار «عثمان» المحرك مرةً أخرى، وأخذ ينظر في ساعته حتى استطاع أن يَصِل بالقارب إلى الشاطئ الآخر للنهر ... وأصبحوا بعيدين عن مرمى السهام ...

سحبوا القارب إلى الشاطئ، وقفزوا منه، وقالت «موانزا»: عجيب ما يحدث الآن؛ فعادةً لا يقوم الأقزام بالهجوم إلا بعد أن يتأكدوا من القادم.

أحمد: لعلَّ عندهم معلوماتٍ عنَّا!

موانزا: ليس هذا مستبعدًا!

أحمد: لقد قطعنا مسافةً طويلة ... ولعلَّ الصياد ...

وقبل أن يُكملَ جملته، كانت «موانزا» تقول وهي تنظر من خلال النظارة المكبرة: إن قارب الصياد على الشاطئ الآخر ... فالأقزام يعيشون داخل الغابة ... ولهم نوعٌ خاص من القوارب ...

وأمسك «أحمد» بالنظارة المكبرة ونظر إلى الشاطئ الآخر، فشاهد القارب الأبيض ... وشاهد مجموعةً من الأقزام تختفي وراء الأشجار ... تنعكس عليهم أشعةُ الشمس نتيجة قِطَع الزجاج الملونة التي يلبسونها ...

وقفت «موانزا»، وأخرجَت قطعةً من القماش حمراء اللون وأخذَت تلوِّح بها ... ومن الجانب الآخر ظهرَت قطعةٌ أخرى حمراء أيضًا ... وفَهِم الشياطين أنها إشارةٌ متفق عليها ...

قالت «موانزا»: هيَّا بنا!

وقفزوا جميعًا إلى القارب، واجتازوا النهر ... وسرعان ما كانوا يقفون أمام مجموعةٍ هائلة من الأقزام، لا يزيد طول الواحد منهم عن ثلاثة أرباع المتر ... وقد تسلَّحوا جميعًا بالسهام ... وهي سهامٌ مسمومة تقضي على مَن تُصيبه في دقائق ...

تقدَّمت «موانزا» من الزعيم، ولدهشة الشياطين حيَّاها بحرارةٍ وأخذَا يتبادلان حديثًا سريعًا، وأشار الزعيم بعدها إلى داخل الغابة ...

أشارت «موانزا» للشياطين، ثم قالت: إن الصياد عندهم ... فقد أسروه وهو في النهر!

عثمان: وأين هو؟

موانزا: إنَّه يتعرَّض لاستجواب!

رشيد: هل معه الجمجمة؟

موانزا: لا أعرف ... ولكن سنعرف حالًا!

أسرعَت «موانزا» إلى القارب البخاري وأحضرَت مجموعةً من الأقمشة والحُليِّ الملونة، ثم وضعَت كلَّ هذا أمام الزعيم الذي بدَا فَرِحًا جدًّا بالهدايا، وأمسك «موانزا» من يدها، ثم أشار إلى الشياطين ... وأخذت «موانزا» تتحدَّث معه، وعرف الشياطين أنها كانت تشرح للزعيم مهمة الشُّبَّان الثلاثة ... وكان يهزُّ رأسه موافقًا بعد كلِّ كلمةٍ.

حادث في الغابة!

بعد نقاشٍ قصير بين «موانزا» وزعيم الأقزام، التفتَت «موانزا» إلى الشياطين، وقالت: لقد أمسكوا الصياد، وأخذوا منه الجمجمة، وقد أهدوها للساحر الذي يعيش بعيدًا في قلب الغابة!

رشيد: وهل يمكننا الحصول عليها؟

موانزا: لقد وعدني الزعيم أن يدلَّني على مكان الساحر، ولكنه لا يستطيع التدخُّل لإعادة الجمجمة حتى لا ينتقمَ منهم الساحر!

أحمد: إن العثور على الجمجمة مسألةٌ مهمة لنعرف إذا كان والدك قد مات حقًّا أم لا!

موانزا: طبعًا، وسوف نفعل المستحيل للحصول عليها ... وسنرحل فورًا مع بعض الأدلَّاء!

تحدَّثت «موانزا» مع الزعيم دقائق أخرى ثم قالت: إن الزعيم يخشى علينا؛ فنحن ذاهبون إلى أرض «الكيكويو»، وهو أكبر القبائل في هذه المنطقة ... والساحر الذي أخذ الجمجمة من هذه القبيلة ... وهو يعتبر أن كل جمجمة يحصل عليها تضع روح صاحبها في خدمته ... ولا يتخلَّى عنها مطلقًا!

أحمد: إن كلَّ هذا لا يجعلنا نتردَّد ... يجب أن نحصل على الجمجمة لنقطعَ الشكَّ باليقين في وفاة «موانجا»، اطلبي منه دليلًا إلى مكان الساحر!

بعد نصف ساعةٍ كان الشياطين الثلاثة ومعهم «موانزا» وقزمٌ عجوز يشقُّون طريقَهم في الغابة ... وأخذ ضوء الشمس يتلاشى تدريجيًّا كلما أوغلوا في الغابة الكثيفة ... ولكن القزم «نجريتو» كان يسير أمامهم بسرعة السهم وكأنه يسير في شارعٍ مستقيم.

ظلوا يسيرون فترةً، ثم سمعوا صوتَ طبولٍ تُقرَع من بعيدٍ ... وشيئًا فشيئًا ارتفع الصوت وفجأةً حدث ضجيجٌ مزعج ... وسَمِعوا أصواتَ طلقاتٍ نارية ... وتوقَّف «نجريتو» في مكانه وبدَا عليه الفزع ... ثم ولَّى هاربًا ...

قالت «موانزا»: هذه طبول الحرب ... ثمة حادث خطير قد وقع في الغابة!

أحمد: لقد هرب «نجريتو»!

موانزا: دَعْنا نعود ... إن المسألة في غاية الخطورة!

أحمد: من الأفضل أن نتقدَّم صوبَ الطبول!

وساروا مسرعين، والأصوات ترتفع أكثر فأكثر ... حتى وصلوا إلى ساحة واسعة ... واختفوا خلف الأشجار ونظروا ماذا يحدث في الساحة!

كان ثمة رجلٌ مقتول بالرصاص، ومُعلَّق في إحدى الأشجار ... وكانت تُحيط برقبته مجموعةٌ من الجماجم البشرية.

وقالت «موانزا»: إنه الساحر!

أحمد: الذي كنَّا نبحث عنه؟!

موانزا: نعم!

أحمد: إنَّ هذا يعني أن بعضَهم قد سبقنا إلى المكان ... لقد حاولوا الحصول على الجمجمة من الساحر، ويبدو أنه رفض فقتلوه ... وأخذوا الجمجمة!

قالت «موانزا»: إن الساحر من قبيلة «الكيكويو»، وقتْلُه يعني متاعبَ رهيبة في الغابة!

وفعلًا كانت هناك شبهُ ثورة ... فهناك العشرات من الرجال يطوفون حول الساحر وهم يرقصون على نغمات حزينة، بينما أصوات النساء تأتي من جوانب الغابة وهي تُولول.

موانزا: من الأفضل أن ننصرف فورًا ... فإنهم إذا أحسُّوا بنا قد يتصورون أننا الذين قتلنا الساحر ... ولن يتركونا أحياء!

بدأ الشياطين رحلة العودة، ولكنهم لم يسيروا سوى مسافةٍ قصيرة عندما سمعوا طلقاتٍ ناريةً تصدر قرب النهر ... وأسرعوا إلى مصدر الطلقات ... وشاهدوا قاربًا قويًّا وبه بعض الأشخاص الذين كانوا يُطلقون الرصاص على شاطئ النهر ...

سدَّد «أحمد» بندقيته وأطلقها على أحد رجال القارب فترنَّح وسقط ... ثم اندفع الجميع إلى الزورق ... ولكن الزورق انطلق قبل أن يَصِلوا إليه ... وفوجئ الشياطين بأنهم أصبحوا هدفًا لمقاتلي «الكيكويو» رغم أن القتلةَ الحقيقيِّين فرُّوا في القارب.

أسرعوا إلى داخل الغابة مرةً أخرى ... وأصبح الموقف خطيرًا حقًّا ... فقد كانت دقَّاتُ الطبول تُحيط بهم من كل ناحيةٍ ... وأصوات الرجال والنساء تجعل الغابة كأنها معقلٌ للوحوش ...

قالت «موانزا»: انظر إنها ستخرج إلى المقاتلين، إنها سمراء مثلهم ولن يُصيبوها بأذًى ... ولكن «أحمد» رفض، وقال: سنجد طريقة لمطاردة هؤلاء الرجال الذين قتلوا الساحر ...

رشيد: لماذا لا نستخدم النهر ... يمكننا أن نأخذ قاربَين من قوارب «الكيكويو».

أحمد: ليس هناك حلٌّ آخر!

عثمان: ولكن هذه القوارب صغيرة، وسوف تتمكن التماسيح من إغراقها!

أحمد: إنَّه الحل الوحيد أمامنا الآن.

أسرعوا إلى الشاطئ مرةً أخرى ... وكان «رشيد» و«عثمان» يُطلقون النار في الهواء بينما قفز «أحمد» و«موانزا» إلى أحد القوارب ... وتَبِعهما «رشيد» و«عثمان»، وأخذ الجميع يجدفون بأسرع ما يمكنهم ... واستطاعوا فعلًا أن يبتعدوا عن سهام مقاتلي «الكيكويو» بمسافةٍ معقولة ... وشاهدوا القارب الذي سبقهم من بعيدٍ ...

أخذوا يجدفون بقوة، وظلت المسافة ثابتة بينهم وبين القارب، عندما فوجئوا بانحناءَة واسعة في النهر، يعترضها شلالٌ ضخم هادر ... ولاحظوا أن اندفاع الشلال يشدُّ القارب الذي سبقَهم وإن كان ركَّابه يحاولون العودة إلى وسط النهر ...

قال «أحمد»: سنهجم عليهم الآن! وتركوا القاربَين يندفعان في اتجاه الشلال ...

وعندما اقتربوا، قفزوا جميعًا إلى المياه، وكانوا على مقربةٍ من الزورق ...

استطاع «أحمد» أن يقفز إلى الزورق، وأن يَصرع أولَ مَن قابله ... ثم توالَت المفاجآت ...

صديق في الطريق!

صرع «أحمد» الرجل الأول ... ولكن القارب اختلَّ توازنه، وشدَّه التيارُ سريعًا إلى الشلال ... واستطاع «أحمد» أن يرى الجمجمة ملقاةً في قاع القارب فقفز وأخذها والقارب يهوي في الماء، والتيار يشدُّ الجميع إلى الشلال.

وجد «أحمد» نفسَه يتخبَّط في مياه الشلال ... لم يكن في استطاعته السيطرة على حركته ... وحاول أن يظلَّ رأسُه طافيًا باستمرار وخُيِّل إليه أحيانًا أنه يرى قارب الشياطين يدور في مياه الشلال ...

وجد جذعًا طافيًا فتعلَّق به، ودُهش عندما شاهد الجمجمة ما زالت في يده ... وظل الجذع يدور به في المياه الهائجة وهو يحاول توجيهَه حتى استطاع في النهاية أن يصلَ إلى الشاطئ ...

قفز «أحمد» إلى البرِّ، واستلقى على الأرض وهو ينظر حوله ... استطاع أن يرى القارب الصغير، وهو يحمل «عثمان» و«رشيد» و«موانزا» ...

وقف على الشاطئ وأخذ يُشير لهم ... ولمحَه «عثمان» فأدار القارب في اتجاهه ... واستطاع بمهارةٍ أن يجتازَ الشلَّال ثم يرسوَ على الشاطئ عند مكان «أحمد» ...

صاحَت «موانزا» عندما رأَت الجمجمة في يد «أحمد»: كيف عثرتَ عليها؟

أحمد: وجدتُها في القارب!

وفجأةً ظهر «نجريتو» القزم ... وتقدَّم إليهم وتحدَّث إلى «موانزا» التي استمعَت إليه، ثم قالت: إن «نجريتو» يعتذر لأنه هرب ... إنه يقول إن شرًّا كبيرًا سيحدث في الغابة بعد قتْل الساحر ...

أحمد: المهم الآن أن نعود سريعًا إلى المدينة، إننا نريد مقارنة الفكَّين عند طبيب الأسنان!

تحدَّثت «موانزا» إلى «نجريتو» الذي ابتسم لأول مرة، وقالت «موانزا»: إن «نجريتو» يعرف طريقًا مختصرًا عبر الغابة، وسنكون على مشارف «نيروبي» في المساء!

سار «نجريتو» كأنه سهمٌ يخترق الغابة ... وكان الشياطين و«موانزا» سعداء؛ لأنهم حصلوا على الجمجمة في ظروف صعبة ... ولكن هذه السعادة لم تَدُم طويلًا ...

فجأةً شاهدوا «نجريتو» يسقط على الأرض وهو يتلوَّى ... ثم خمدت أنفاسه في دقائق.

استلقى الجميع على الأرض ... فقد عرفوا أن سهامًا مسمومة تُطلَق عليهم. كان الصمتُ عجيبًا في الغابة، ما عدا صوت الحيوانات التي كانت تفرُّ هنا وهناك.

وشاهد «أحمد» فيلًا وحيدًا يحاول الخروج من شباكٍ نصبَها صياد، فأخرج خنجرًا من حزامه، ثم تقدَّم بحذرٍ شديد، وأخذ يقطع الحبال التي تُقيِّد الفيل، ثم قفز على ظهر الفيل وانطلق به، وصاح بالأصدقاء: احتموا بالفيل من السهام!

كان الفيل هادئًا ... كأنه يعترف بجميل «أحمد» في إنقاذه ... فسار وعلى ظهره «أحمد» وخلفه الأصدقاء ... بينما كانت صيحات الحرب والقتال تنطلق في أنحاء الغابة.

فجأةً شاهد «عثمان» بجوار إحدى الأشجار عملاقًا أسودَ يسدِّد ناحيتهم سهمًا، وبحركة بارعة قفز في الهواء، وتعلَّق بغصن الشجرة، ثم ضرب العملاق بقدمِه ضربةً قوية أطاحَت به على الأرض.

... ثم انطلق يلحق بالفيل الذي كان يشقُّ الغابة وهو يحمل الأصدقاء ... واستطاعوا بعد نصف ساعة أن يَصِلوا إلى نهاية الغابة. وأطلُّوا على سهل منبسط ...

وكانت مفاجأةً لهم أن يجدوا مصنعًا لتعليب الفاكهة وفي ساحته عددٌ من السيارات ... ولم يكن أمامهم إلا القفز إلى إحدى الشاحنات والانطلاق بها ...

كانت شاحنة ضخمة أثارَت ضجيجًا عاليًا لفَت انتباهَ الحرَّاس، وسرعان ما انطلقت خلفهم سيارة صغيرة استطاعت أن تلحق بهم.

... كان «رشيد» يقود الشاحنة ببراعةٍ على الطريق ...

وأخذت سيارة الحراس الانطلاقَ وراءهم، بينما أخذ مَن فيها يُشيرون لهم بالوقوف حتى لا يُطلقوا النارَ عليهم ...

قال «أحمد»: من الأفضل أن نتوقف!

وتوقَّفت الشاحنة، ونزل الأربعة ... وكم كان شيئًا مدهشًا أن يتقدَّم أحدُ الحراس من «موانزا» ويصيح: «موانزا» ... ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟ ماذا حدث؟ ...

وصافحَت «موانزا» الحارس في حرارة، ثم أخذَت تتحدَّث معه وتُشير إلى الأصدقاء ... ثم التفتَت إليهم، وقالت: إنه «ماجاويلي» ... وهو صديق عزيز لأبي!

صافح الشياطين «ماجاويلي» الذي أشار إلى بقية الحراس ليعودوا بالشاحنة إلى المصنع، ثم اصطحب الشياطين و«موانزا» في سيارته، وانطلق بهم إلى المدينة التي كان المساء يهبط عليها سريعًا …

قال «ماجاويلي»: سنذهب إلى الدكتور «موستاكي» … إنه طبيب الأسنان الذي كان يُعالج عنده «موانجا» وهو صديقي أيضًا!

وصلوا إلى عيادة الدكتور «موستاكي» الذي طلب منهم الانتظار لحظات، ثم دخل «أحمد» و«موانزا» و«ماجاويلي» واستقبلهم الطبيب استقبالًا طيبًا …

وجاءت اللحظة الحاسمة؛ فقد فتح الطبيب أحدَ الدواليب وأخذ يقرأ أسماء مرضاه، حتى وصل إلى اسم «موانجا»، فأخرج نموذجًا للفكَّين … ثم لبس نظارتَه وأخذ يُقارن بين الأسنان في الجمجمة والنموذج، وقال: هذه الجمجمة ليست لـ «موانجا»!

وما كاد يقول هذه الجملة حتى أطلقَت «موانزا» صيحةَ فرح، وقالت: إذن أبي حيٌّ!

كان «ماجاويلي» صامتًا، ولكنه قال لـ «أحمد»: لي معك حديث … متى أستطيع أن أراك!

أحمد: في أيِّ وقتٍ!

ماجاويلي: سأعود إلى المصنع لأنني مرتبطٌ هناك بموعدٍ هامٍّ، وسأعود في العاشرة!

أحمد: إننا ننزل في فندق «القرد الضاحك» وسأكون في انتظارك!

ماجاويلي: خذوا معكم «موانزا» … لا تتركوها وحدها وقد حذَّرتُها كثيرًا من قبل!

أحمد: اطمئن!

خرجوا جميعًا، وعلم «رشيد» و«عثمان» بما قال الدكتور «موستاكي» … وقال «رشيد»: لا بد أن رقم «صفر» سيكون أسعدَ إنسان عندما يسمع أن صديقَه «موانجا» حيٌّ ولم يَمُت!

أحمد: ولكن المهم هو العثور عليه!

اغتيال في الليل!

ظهر «ماجاويلي» في الفندق في تمام العاشرة ... وكان «أحمد» في انتظاره ... وطلب «أحمد» من «موانزا» أن تصحبَ «رشيد» و«عثمان» في جولة بالمدينة لحين انتهاء حديثه مع «ماجاويلي» ... وجلسَا معًا في ركن منعزل يتحدثان ...

قال «ماجاويلي»: لقد فهمت من «موانجا» أنَّ له صديقًا قويًّا يعمل في منظمةٍ سرية ... وفهمت من «موانزا» أنكم تتبعون هذه المنظمة!

أحمد: هذا صحيح!

ماجاويلي: أنتم تعلمون إذن أن «موانجا» هو زعيمٌ أفريقيٌّ هامٌّ جدًّا، ولكنه يعمل سرًّا ... إنه مناهض للتفرقة العنصرية التي تُفرِّق بين الناس بسبب اللون أو الجنس، وقد كان لـ «موانجا» أعداء بالطبع كلهم من البيض وخاصةً الذين يعيشون في جنوب أفريقيا ... وقد حاولوا مرارًا القضاء عليه!

أحمد: هل تظن أن لهم ضلعًا في اختفائه؟

ماجاويلي: لا أظن ... ولكني واثق ... فقد كنت وما زلت زميلًا لـ «موانجا» في المنظمة السرية للسود والتي نُطلق عليها اختصارًا «بي آر» وقد خُضْنا معاركَ ضارية ضد الداعين إلى التفرقة العنصرية، وأحيانًا كنَّا ننتصر، وأحيانًا كنا ننهزم.

أحمد: وهل تعرف أعضاء منظمة «بي آر» أننا نستطيع الاستعانة بهم؟

ماجاويلي: الوحيد الذي يعرف كلَّ أعضاء «بي آر» هو «موانجا»، وعنده ملفات سرِّيَّة بالأسماء كلها!

أحمد: فهمت الآن، لقد حاول أعداؤكم العثورَ على الملفات الخاصة بكم وبأسمائكم ولكنهم لم يعثروا عليها!

ماجاويلي: حمدًا لله ... وإلا اغتالونا واحدًا واحدًا!

أحمد: ومَن هم بالتحديد أعضاء المنظمة المعادية؟

ماجاويلي: لا أعرف بالضبط ... فهم يتغيَّرون بين فترة وأخرى، ولكن في الفترة الأخيرة ظهرَت وجوهٌ جديدة في المدينة ... وقد استطعتُ متابعةَ واحد منهم ذات يوم، ووجدتُه يختفي في طرف الغابة عند منطقة معروفة باسم التمساح ...

وقد سُمِّيَت كذلك لكثرة التماسيح فيها ... وهي منطقة خطرة لا يقترب منها أحد!

أحمد: هكذا تتكرر كلمة التمساح مرةً أخرى!

ماجاويلي: نعم ... مرةً في قصة موت «موانجا» ومرةً أخرى في هذه المنطقة!

أحمد: وكيف يمكن اكتشاف منطقة التمساح هذه ... إنني أتوقَّع مجموعة من المفاجآت هناك!

ماجاويلي: لا بد من الاستعانة بأحد الأدلَّاء ... فالمنطقة كلها مستنقعات حيث تعيش أكبر التماسيح ... والسير هناك خطر!

أحمد: استأجِرْ دليلًا تثقُ به ... ودَعْنا نحاول معرفة ماذا يحدث هناك!

ماجاويلي: ومتى تحب أن نذهب ... ليلًا أم نهارًا.

أحمد: ليلًا طبعًا!

ماجاويلي: إن هذا يضاعف من خطورة المكان!

أحمد: لقد اعتدنا على المخاطر ... فلا تَخْشَ شيئًا!

انصرف «ماجاويلي» بعد الاتفاق على أن يلتقيَا مساءَ اليوم التالي ... وقام «أحمد» ليخرج لكنه شاهد وجهَ رجلٍ يتوارَى خلف زجاج النافذة حيث كان يجلس مع «مجاويلي» ...

تظاهرَ «أحمد» بأنه لم يرَ شيئًا، وخرج من الفندق ليتجوَّل ... وقد خفَّ زحام المدينة ... وأخذ يتسلَّى ويتفرج على واجهات المحلات ... ولكنه كان يتابع من جانب عينه رجلًا كان يتبعه من بعيد.

سار «أحمد» مسرعًا حتى أول طريق متقاطع مع الشارع الذي يسير فيه ... ولاحظَ أن الرجل يُسرع خلفه، ووجد مدخل عمارة ضخمة مظلمة فاختفى بجوار الباب، ومرَّ به الرجل مسرعًا.

ومدَّ «أحمد» قدمَه أمام الرجل الذي تعثَّر فيها وكاد أن يسقط، لولا أن «أحمد» تلقَّفه بين ذراعَيه، ثم أداره سريعًا ووجَّه إليه ضربةً قاضية ثم سحبه مسرعًا داخل العمارة المظلمة، وأخذ يفتش جيوبه.

عثر على مسدسٍ ضخم ... وخريطة وجواز سفرٍ، وأشياء أخرى أقل أهمية ... فأخذ كلَّ شيء وترك الرجل مكانَه وعاد إلى الفندق حيث وجد «رشيد» و«عثمان» و«موانزا» ... فروى لهم ما حدث.

ثم فردوا الخريطة التي وجدها «أحمد» مع الرجل ... كانت تُشبه الخريطة التي شاهدها «أحمد» في أدراج «موانجا» السرية ... مع عدد من علامات الاستفهام على أماكن متفرقة على الخريطة ...

وأخذَت «موانزا» تتأمل الخريطة لحظات ثم قالت: إن علامات الاستفهام موضوعة على أماكن كان أبي يتردَّد عليها!

أحمد: لماذا؟

موانزا: لا أعرف بالضبط ... فقد كان أبي يُخفي عنِّي بعضَ النشاط السري الذي يقوم به خوفًا عليَّ، ولكني كنت أعرف أنه يجتمع مع كثير من الثوَّار الأفارقة الذين يحاربون التفرقة العنصرية!

عثمان: ولكن هذا الرجل الذي كان يرافقك يعني أننا مراقبون من جهةٍ ما!

أحمد: بالطبع!

رشيد: إذن يجب علينا أن نتصرف بسرعة ... فهم إمَّا أن يقضوا علينا أو نقضيَ عليهم!

موانزا: من الأفضل أن تُغادروا هذا الفندق فورًا!

أحمد: إلى أين؟

موانزا: نستطيع أن نذهب إلى منزل جدَّتي ... عندها منزلٌ كبير على أطراف المدينة!

طلبوا إحضار تاكسي، وجمعوا حاجيَّاتهم بسرعة ... وعندما نزلوا إلى صالة الفندق لدفع الحساب قال لهم موظف الاستقبال: إن التاكسي سيصل خلال دقائق ...

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، عندما وصلَت سيارة التاكسي من طراز «بيجو ستيشن» التي تتَّسع لسبعة ركاب ... قفزوا إليها وأعطَت «موانزا» للسائق العنوان.

وانطلقت السيارة في شوارع نيروبي الهادئة ... ولكن ما إن تجاوزَت المنازلَ إلى الطرق الدائرية حتى بدأت السيارة تُهدِّئ من سرعتها، وقال السائق: هناك خللٌ بسيط ... سأري ما يحدث.

أوقف السائق السيارة، ونزل، وفتح غطاءَ المحرِّك، وظلَّ بعضَ دقائق، فقال «أحمد» بسرعةٍ: انزلوا سريعًا!

نزل الأربعة، ولم يكَد يغادروا السيارة حتى شاهدوا السائقَ يجري مبتعدًا، في نفس الوقت الذي اقتربَت فيه سيارة سوداء، وانطلق من نافذتها المفتوحة مدفعٌ رشاش، وانهالَت سيول الرصاص على السيارة «البيجو» بينما انبطح الأصدقاء، وتدحرجوا فوق الحشائش ليختفوا في الغابة.

اشتعلت النيران في السيارة «البيجو»، وبعد لحظاتٍ انفجرَت وقد تصاعدت منها ألسنة اللهب.

قال «أحمد»: لا بدَّ من الاتصال بـ «ماجاويلي» فورًا ... إن المسألة أخذَت طابعَ التصفية، ولا بدَّ من مهاجمةِ وكْرِ العصابة غدًا ليلًا!

رشيد: أليس عندك موعدٌ معه؟

أحمد: نعم ... ولكننا في حاجة إلى أسلحة!

تماسيح وأسود!

ابتعد الأصدقاء عن مكان الحادث سريعًا، بعد أن اختفَت السيارة المهاجِمة، وبعد مسيرة نحو ساعة أشرفوا على الشوارع المضاءة مرةً أخرى ... واستقلُّوا تاكسيًا أخذهم إلى منزل جدَّةِ «موانزا» التي كانت نائمة.

وفي الصباح الباكر اتصلت «موانزا» بـ «ماجاويلي» وروَت له ما حدث ... وقالت: إن الأصدقاء يطلبون أسلحة!

قال «ماجاويلي»: الأسلحة موجودة ... وسيكون موعدنا الثامنة عند حافة الغابة!

استراح الشياطين الثلاثة طول النهار ... وفي الثامنة كانوا عند المكان الذي حدَّده «مجاويلي» مع «موانزا» ... وكان «ماجاويلي» يستتر خلفَ شجرةٍ وخلفه سيارة تُشبه سيارة «موانزا» ... وفتح حقيبة السيارة وأخرج منها مجموعة من الأسلحة ... مدافع رشاشة ... بنادق بعيدة المدى ... مسدسات ... خناجر ضخمة ... قنابل يدوية ...

وقال «أحمد»: إنها ترسانة من الأسلحة؟ ولكن أين الدليل؟!

ماجاويلي: لقد جئنا مبكرين نصف ساعة ... فهو يدرس المكان.

وظهر الدليل وأخذ يتحدَّث إلى «ماجاويلي» لحظاتٍ، ثم قالت «موانزا»: إنه يقول إن معالم المكان تغيَّرت عما قبل ... وإن التماسيح تعيش في حوضٍ صنعَته أيدٍ بشرية ... وإنَّ خلفَ الحوض جدارًا من الأشجار ولكنْ خلفَ الأشجار جدارٌ من الأسمنت المُسلَّح ...

أحمد: من الصعب إذن اقتحام المكان!

ماجاويلي: إن الدليل يقترح أن نقفز على الأشجار ... وقد طلب بعضَ الحبال لربطها في أماكن معينة نستطيع أن نتسلَّق بها، وأن نقفز بها أيضًا!

أحمد: إنها فكرة رائعة ... ولكن هل أنت واثقٌ فيه؟

ماجاويلي: بالطبع ... إنه أحد أفراد جماعة «بي. آر»!

وتوغَّلت المجموعة في الغابة، وأخذ «ماجاويلي» والدليل يتسلَّقان الأشجار، ويربطان الحبال، وبعد نحو ساعة من العمل، بدأ «أحمد» و«عثمان» و«رشيد» و«موانزا» يتسلَّقون الأشجار، ثم يُمسكون بالحبال ويتأرجحون بها من مكان إلى مكان ... ثم يقفزون ... واستمروا نحو نصف ساعة حتى أشرفوا على حوض التماسيح ...

كانت الغابة مظلمةً ... ولكن أشعة القمر كانت تتسلَّل بين الأشجار فتُلقي ضوءًا رهيبًا على حوض التماسيح التي كانت تتقافز في المياه ...

وكانت أصوات الحيوانات والصراصير والحشرات كلها تعزف لحن الغابة الدائم ...

وجاءت اللحظات الحرجة ... وتأرجح الأصدقاء على الحبال فوق حوض التماسيح ... وكلٌّ منهم يُمسك قنبلة يدوية وسرعان ما ألقَوا القنابل في الحوض وارتفع صوت انفجار القنابل ... ثم قفزوا في ستر الأشجار وأخذوا يُطلقون مدافعهم الرشاشة ... وسرعان ما كانت مدافع أخرى تردُّ عليهم.

ووجد «أحمد» و«موانزا» بابَ نفقٍ يمتدُّ من السور إلى داخل الغابة ... دخلَا معًا في وقتٍ واحد وهما يُطلقان النار ... وكان النفق مُضاءً بالمشاعل التي كان ضوءُها يُلقي بظلالٍ مرعبة على أرض المكان ...

ظلَّ «أحمد» و«موانزا» يجريان وبعد عشرين مترًا ... وفجأةً انفتحَت الأرض تحت أقدامهما، وسقطَا معًا في كمِين ... وسمعَا ضحكةً مجلجلة ... وصوت رجل يقول: ماذا تفعلان هنا يا أبنائي؟

وجد «أحمد» و«موانزا» أنهما سقطَا في حفرة عميقة ... مظلمة ... وعاد الرجل يقول: لقد حاوَلْنا إقناعك أيتها الفتاة أن تتعاوني معنا ... والآن ما رأيكِ؟

وقبل أن تُجيبَ «موانزا» ارتفعَت أصواتُ طلقاتٍ ثم صوت «ماجاويلي» وهو يصيح: «موانزا» ... «موانزا»!

ردَّت «موانزا» عليه وظهر مشعلٌ في أعلى الحفرة، ثم تدلَّى حبل ... وأسرعَت «موانزا» و«أحمد» بالتسلُّق.

وقال «ماجاويلي»: إن «عثمان» و«رشيد» يقومان بعمل جيد!

وانطلق الثلاثة في النفق مرةً أخرى ... وهم يسمعون دويَّ الرصاص في كل مكان ... ثم شاهدوا رجلًا يحمل حقيبة، ويجري مندفعًا من إحدى الغرف.

وأسرع «أحمد» خلفه ثم أطلق مسدسه للإرهاب بين قدمَي الرجل الذي التفت إليه مُرتعبًا ...

وتذكَّر «أحمد» أنه شاهد صورته في ملف «موانجا» ...

صاح «أحمد» به: أين «موانجا»؟

الرجل: إنني ... إنني!

أحمد: لا وقت للجدل ... وإلَّا ...

الرجل: إنه مسجون في غرفةٍ تحت الأرض ...

أحمد: خُذنا إليه ...

سار الرجل مضطربًا أمامهم، وتقدَّم «ماجاويلي» وأخذ منه الحقيبة وكانت ثقيلةً ...

وعرَف «ماجاويلي» ما فيها ... نزعوا مجموعة من السلالم التي تغطِّيها الحشائش وساروا في دهليزٍ قصير ... ولدهشتهم الشديدة، وجدوا أقفاصًا ضخمة في الحائط تحوي عددًا من الأسود والنمور تزأر في وحشيةٍ.

وانتهز الرجلُ انشغالَ الأصدقاء بالوحوش وضغط على زرٍّ في الحائط أمامه ... فانفتحت الأبواب وأصدرت صوتًا عاليًا ... وتنبَّه الأصدقاء للخطر ... فأطلق «أحمد» رصاصتَه على ساق الرجل، وتركوه ... فكان أول ضحية للسباع التي انقضَّت عليه ...

بينما أخذَت «موانزا» تصيح ... أبي ... أبي.

وانطلق صوت «مجاويلي» ينادي: «موانجا» ... موانجا ...!

وسمعوا صوت «موانجا» ... وهو يردُّ: أنا هنا الباب الثالث إلى اليسار ...

أسرعوا إليه ... وأطلق «أحمد» طلقةً واحدة على الباب ففتحه ... وارتمَت «موانزا» بين ذراعَي أبيها ...

فقال «أحمد»: هيَّا بسرعة ... إنَّني أسمع صوت مخالب السباع.

ساروا في ممرٍّ وفي نهايته وجدوا بابًا مفتوحًا ... بينما صوت الطلقات تدوِّي من بعيدٍ.

أسرع «أحمد» أولًا إلى الباب ونظر إلى الخارج ... وعلى ضوء المشاعل الرهيبة شاهد أشباحًا تجري.

وسمع صوتَ «رشيد» يقول: أشعل النار يا «عثمان»!

وألقى «عثمان» قنبلةً على مخزن للوقود كان واضحًا أنه يغذِّي هذا المقر العجيب ... واشتعلت النار ...

تجمَّع الأصدقاء ومعهم «موانجا» والدليل وأسرعوا إلى أقرب سيارةٍ ... وعندما وصلوا إلى منزل «موانجا» أسرع «أحمد» يُرسل برقيةً تليفونية عاجلة إلى رقم «صفر» في بضع كلمات:

«موانجا حيٌّ يُرزق ... ونحن بخيرٍ والحمد لله ...»

رقم واحد

هنـــداوي